د. عمر الكرمة

يوسُفيّات

حِكَمٌ ومواعظ



يوسُفيّات

د. عمر الكرمة

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأي شكلٍ من الأشكال، أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونيةٍ أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغةٍ أخرى دون الحصول على موافقة المؤلّف والناشر مقدمًا.

No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any way from or by any means; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the author and the editor.

❖ الكتاب: يوسُفيّات

❖ المؤلف: د. عمر الكرمة

❖ نوع العمل: علوم إسلامية

❖ الطبعة الأولى: 1448 هجري - 2026 ميلادي، المغرب

❖ رقم الإيداع: 2026MO1384

❖ الترقيم الدولي: 978-9920-8619-2-2

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار أو أحداث أو آراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

جميعُ الحقوقِ محفوظة

إهداء

إلى من كُنَّ سندَ رسول الله ﷺ عند العثرات،

ودِرعه عند الشّدائد،

وجيشَه عند الضّائقات،

وسيفه ورمحه عند النازِلات،

إلى من كُنَّ بلسمًا لجراحه،

وجبرًا لخاطره،

وطمأنينةً لفؤاده،

وسكينةً لروحه،

إلى أمّهاتِ المؤمنين كُلهنَّ رضي الله عنهن،

أهديكُنَّ هذا الكتاب نيابةً عن الأمّةِ جمعاء.



مقدمة

رحلةٌ تأمليةٌ تدبريةٌ في آياتِ

سُورة يوسف الماتعة،

نسبرُ أغوار معانيها

وننهلُ من بديعِ حكمها.

﴿الٓر﴾

ليس من الضروري استيعابُ وفهم
كل ما جاءكَ من لدُن ربك!
من الأمورِ ما نُسلِّم به لربنا فقط،
ما نأخذه بأعماقِ قلوبنا إيمانًا ويقينًا،
وتعبدًا به جلَّ في عُلاه!

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾

آياتٌ محكماتٌ لا يأتيها الباطلُ

من بين يديها ولا من خلفها،

تنزيل من الرحمان جلَّ في عُلاه،

على من اصطفاهُ لأرقى الرسالاتِ وخاتِمتها،

آياتٌ فيها رشاد للتائهين،

وجوابٌ للسائلين،

وحِكمٌ ومواعظ للمقتدين،

وطمأنينةٌ للفزعين،

وسكينةٌ للتائبين!

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾

بحروفٍ وكلماتٍ وتعابير عربية،

تسري بين الناسِ محفوفةً

بحفظ ربها إلى أن تقومَ السّاعة،

تحملُ مواعظًا وحكمًا،

وتشريعاتٍ يحتكم إليها الناس،

وتقوم بها مجتمعاتهم وتنتظمُ بها حياتهم!

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

مِن رَجاحةِ عقلِ المرء أن يقرأ القُرآن
فيتدبر معانيه ومقاصدهُ السامية،
التي لا تتضحُ إلا لذوي الألباب!
أن تتلو القرآن هو خيرٌ عظيم،
لكن ما هو أعظمُ منه أن تقرأ القرآن
وتفهم مقاصده وتشريعاته وأحكامه،
وتعقل بديعَ حِكمه ومعانيه!

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾

قِصصٌ للعبرة والاتعاظ،

بأقوامٍ سبقوا إلى هاته الأرض،

فمنهم من صار قدوةً يقتدي بها الناس،

لِمّا خلفوا وراءهم من أثرٍ طيب،

ومنهم من صار عبرةً يعتبر بها من تبعهم،

لِما عاثوا في الأرضِ من فسادٍ وغلو!

﴿يَا أَبَتِ﴾

في هذه اللفظةِ من الاحترام والتقدير
ليعقوبَ من ابنه يوسُف عليهما السّلام،
ما يعجز اللِّسانُ عن التعبير عنه!
علِّموا أولادكم دائمًا النظر بعين
التقدير لتضحياتكم من أجلهم،
وعلموهم أن احترامَ الغير ليس منقصة،
بل إنما منمّة عن أصالةِ معدن صاحبه،
وازرعوا ذلك فيهم منذ الصِّغر،
فمن شبَّ على شيء سيشيبُ عليه دون شك!

﴿يا بُنَيَّ﴾

لم تسهل لفظة "يا أبت" على يوسُف عليه السّلام،

إلا لما سهلت لفظةُ "يا بني" على يعقوب عليه السّلام!

هذِّبوا أبناءكم وخاطِبوهم بألفاظ البنوة،

حتى يخاطبوكم بدورهم بألفاظِ الأبوة،

فاحترام الآباء وتقديرهم يُغرس

في الأبناء منذ الصّغر،

كالسّاقي الذي يسقي غرسه،

إن أحسنَ سقايته نما ونبتَ وأخرج

الحبَّ والثمر والزرع...

وإن أهمله وأوكله لغيره،

فسدَ وهلَك غرسه!

﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ﴾

ليس كل ما يُعلم يُقال!

ولا كل سرٍّ وجبَ البوح به،

حتى ولو كان إلى قريبٍ أو عزيز!

من الأمور ما لا تحضرها البركة إلا

إذا قُضيت سرا في خفيةٍ عن أعين الناس،

فكل ذي نعمة محسود عليها ممّا لا شك فيه،

فخير الأمور ما يُقضى بالصبر والكتمان،

لا بالعجلةِ والمُجاهرة!

﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾

ليس شرطًا أن تكون المكيدةُ من بعيد!

بل قد تأتيك من قريبٍ لم تكن تخاله

يوما رافعًا صوته عليك،

أو جارحًا إياك ولو ببضع كلمات،

هي طبائع بعض البشر الذين

يغلبُ الحقد والحسد على سلوكياتهم،

فالذي تتوخاه من البعيد لابد لك أن

تتوخاه مِمّن هو قريبٌ أيضا!

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

وكيف لمن عصى أمر ربه الذي
خلقه وسوّاهُ وأغدقه بالنعم
أن يُحبَّ الخير للعباد،
وهو الذي توعد بأن يُضلَّ من
استطاع منهم إلى يومِ الدين،
فليس لذي النُّهية أن يحذو حذو
عدوٍّ لا يريد به إلا شرًّا وهلاكا!

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾

إذا سألت الله عزَّ وجل النعمة فاسأله

إياها واسأله تمامَها معها!

ومِن تمام النعمة دُخول جنة الخلد،

فالعابِد يسأل ربهُ النعمةَ ويكتفي بذلك،

أما العالِم فيسأله النعمة والجنّة معها!

﴿آيَاتٌ للسَّائِلِينَ﴾

آياتٌ للحيارى في أمورِ دينهم ودنياهم،

آياتٌ لمن ساورَ الشكُّ قلبه في أقدار ربهِ وألطافها،

آياتٌ لمن يعجبُ كيف لربه أن يُخرج

اللُّطفَ من رحِم القسوة والمعاناة،

واليُسر من خضمِّ العُسر،

والرخاء من شِدّةِ الضّيق!

﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾

لم تكن العبرةُ يومًا بالكمِّ يا صاحبي،

بل بما وقرَ في القلب،

وتشرَّبته الروح،

فالنقيُّ نقي الفؤادِ دمثُ الأخلاقِ،

لا حسَنُ الوجهِ والهندام!

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

مبادئك وثوابتكَ ومعتقداتك...

هي أمورٌ لا تقبل المساومة أو المحاباة!

فحبُّ يعقوبَ لابنه كان ضلالًا عند إخوة يوسُف!

واستعصام يوسُف عن الفاحشةِ كان عصيانًا عند زوجةِ العزيز!

وإيمانُ السَّحرة بربِّ موسى كان كفرًا عند فرعون!

فلا تتلون تلوُّنَ الحرباء من أجل إرضاء غيرك!

وضَع في ذهنك دائمًا:

"أنه إن أدركتكَ مرضاةُ ربك،

ما ضرَّك سخطُ الناس عليك!"

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾

لم يكن ليدور في خلدِ نبي الله يوسُف عليه السلام،
أن هذا الكلام قد يصدر يومًا من
إخوته الذين يشاطرهم الدم!
بعض الأمور يا صاحبي لا يُرفع عنها
الغطاء إلا حين يلتهم الحسدُ والحقدُ صاحبه،
فلا يُراعي قرابةً ولا يحملُ همًّا لعواقب
ما قد يدفعه حقدهُ الدّفين ليصنعه!
فالناسُ معادنٌ متباينة النّفاسة،
منها الرخيصُ ومنها النّفيسُ ومنها النادر،
فلا تدري مع من تجدُ نفسك في يومٍ من الأيام!

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾

منهم من رأى بقتلِ يوسُف،
وغيره من رأى بإلقائه في قاع البئر السحيق،
لا لشيء لكن للحسدِ الذي سكنَ قلوبهم،
فأعمى بصيرتهم لِما رأوا من حبِّ
يعقوبَ لابنه يوسُف عليهما السّلام،
هي القلوبُ يا صاحبي قد تتقلب
ما بين طرفةِ عينٍ وانتباهتها،
لا لشيء لكن لنعمةٍ رآها البعضُ ظاهرة عليك،
فأثارت حِقدهم وضَغينتهم!

﴿وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾

وكم من امرئ تجرأ على حدٍّ من حدود دينه،

ظنًّا منه أنه سيُتبع ذنبه توبةً لتمحوه!

فلم يُدرك بابَ التوبة إلا وقد فاضَت روحه لبارئها!

أشنعُ ما قد يرتكبه المرء في حقٍّ نفسه،

أن يُبرِّر معصيةً بدعوى مُوالاتها بتوبةٍ مستقبلية!

﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾

مُحزنٌ أن تكون رحمة أخيك بك
في رفض قتلكَ واقتراح رميكَ في قاع بئرٍ سحيق!
ذاك الذي كنت تحسبهُ درعًا،
فكانهُ لكن لأعاديك،
ومن حسبتهُ سِهامًا صائبات،
فكانها لكن في فؤادك،
من تُشاطره الدّم والحَسب والنّسب،
يغدر بك لا لجُرمٍ ارتكبته في حقه،
لكن لنعمةٍ رآها باديةً عليك،
فأثارت حِقدًا وغِلًّا في صدره
لا ينكشفان إلا بزوال ما عليكَ من نِعم!

﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾

الذي يريد الخيانةَ غالبًا ما يلجُ من بابِ الأمانة،

والذي يريد الكذبَ غالبًا ما يلج من بابِ الصِّدق،

والذي يريد الغدرَ غالبًا ما يلج من بابِ الوفاء،

تنبّه دائمًا لألفاظِ الناس يا صاحبي،

فهي تحوي دسائسَ أفكارهم وخسيسَ طبائعهم!

﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾

قالها إخوةُ يوسُف ليعقوبَ عليه السلام ليستأمِنهُم على فلذة كبده،
فما كان منهم إلا أن خانوا العهدَ وغيَّبوه في غياهبِ الجُبِّ!
حتى أقربُ الناس إليك يا صاحبي،
قد يصدر منهم يومًا مالم تخله صادرا عنهم،
مسافاتُ الأمان تلك لابد لك أن تتركها بينك
وبين غيرك وإن كانوا من أشدّ الناس قرابةً إليك،
حتى لا تعضَّ أصابع الندمِ
حسرةً في يومٍ من الأيام!

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾

ظاهرُ الأمر لهو ولعب،
وباطنه خيانةٌ ومكيدة،
لا تحكم على الناس مِمّا يُبدونه للعيان،
فكم من خبيث نفسٍ يُبدي للناس
محاسِن الأخلاق وشيم المروءة،
وما هو إلا ثعلبٌ ماكرٌ يتحيّنُ
أنسبَ الأوقات لينقضَّ على فريسته!

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي﴾

تسألني عن أصعبِ الشُّعور يا صاحبي،

أجِبكَ دون تردُّدٍ بأنه شعور فقدِ من

هو عزيزٌ على قلبك!

منِ الذي إذا طُلب منك دمُك فدى له

افتديته به بغية أن يرجع إليك سالمًا!

من الذي تكفيك منه تَربيتةٌ على كتفك،

حتى تنقشعَ همومك وأحزانك!

من الذي مُحياه، بسمته، ضحكته، كلماته...كفيلةٌ

بأن تأخذ بيدك وتعطيك بعضًا من الثقة

بعد كثيرٍ من الخذلان!

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾

قالها يعقوبُ لأسباطه عن حُسن نية،

فصارت وسيلةً لهم حتى يخفوا جريمتهم الشّنعاء خلفها،

لا تُعطِ الناس يا صاحبي سيفًا يغرسونه في قلبك،

أو حبلًا يلفونه حول عنقك،

إذا ما ادعتهم الضّرورة لذلك!

واجعل الحيطةَ عنوانًا لك في حياتك!

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾

ليست كل دمعةٍ تحدرتِ الآماقَ
هي دمعة ندمٍ وأسى يا صاحبي،
من الدموع ما هي دموعُ مكرٍ وحقدٍ وخيانة،
فليس كل من أتاكَ باكيًا قد أتاك نادمًا على ما فات،
بل ربما هي دموع غدرٍ يتأنّى صاحبها
الزمانَ والمكانَ الأنسبَ حتى يُبدي
ما خَفي في قرارةِ نفسه!

﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾

من يُريد بك شرًّا يا صاحبي،

صنعَ المستحيلاتِ من أجل أن ينال مراده،

قد يكذب ويشهد زورًا،

ويُبطل حقًّا ويُحقُّ باطلًا...

من أجل أن يقضي وطَره،

فعند مثل هؤلاء،

الغاياتُ تبرر كل الوسائلِ وإن كانت غير مشروعة!

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾

النفسُ يا صاحبي إن لم تحثك على الخير،
حرضَتك على اقتراف شِرار الأمور!
فيوسُف أُلقيَ في البئر لا لشيء لكن
لحقدٍ أضمرهُ له إخوته في أنفسهم،
وقابيلُ قتلَ أخاه هابيلَ لا لشيء
لكن لحسدٍ أقره له في نفسه،
فمن خالفَ هوى نفسهِ فاز ونجى،
ومن اتبعها ضاعَ وهلَك!

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾

صبرٌ على فقدِ الولد،

وذهابِ البصر،

وشدةِ الابتلاء،

ليليها لمٌّ شملٍ،

وارتدادُ بصرٍ،

وتحقّقٌ لرؤيا ابنه!

فالذي أوتي شيئًا من صبرِ الأنبياء،

أوتي خيرًا كثيرا!

﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ﴾

ذاك الواردُ الذي ذهب ليسقي لم يكن يدور في خلده أنه
سيرجع بدلوٍ يحمل غلاما سيُمكن له ربه في الأرض،
ويُصيِّره نبيًّا من أنبيائه،
ووزيرًا لخزائنِ مصر!
هي الأرزاقُ يا صاحبي!
لا تدري متى أو أين أو كيف تأتيك،
لكن كُنْ على يقينٍ أنها بالغة إليك لا محالة!

﴿يَا بُشْرَىٰ﴾

تأتيك البشائرُ على عدةِ شاكلات،

بعد أن رأيت أصنافًا من الابتلاءات،

فيوسُف عليه السلام بعد أن أُلقي في البئر،

خرج منه ليصير وزيرًا لملك مصر،

وإبراهيمُ عليه السلام بعد أن أُلقي في النار،

خرج منها ليصير خليلًا لله عزَّ وجل،

ويونُس عليه السلام بعد أن قبع في جوف الحوت،

خرج منه ليتبعه كل قومهِ ويسلموا لربهم عز وجل،

ورسولنا عليه الصّلاة والسلام خرج من مكة ليلًا،

هربًا من بطشِ قريش فما لبث أن عاد فاتحًا

لها بعد مُدةٍ من الزمن!

فالذي يصنع الفارق بين الناس ليس

هو وقوعهم في الابتلاءِ بحد ذاته!

بل مكمنُ الفرق في شدةِ الصبر على ذاكَ البلاء!

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾

صدقَ من قال إن المظاهر خداعة!

فمن كان ليظن أن نبي الله يوسُف عليه السلام،

سيُسرُّ بضاعة إلى بيتِ العزيز،

فيُكرم مثواهُ فيصير بعد ذلك

وزيرًا على ملك مصر!

ومَن كان ليعتقد أن نبي الله موسى عليه السلام،

سيوضعُ في تابوتٍ ويُلقى في النهر،

لتلتقطه آسيا زوجةُ فرعون فتُؤمِّنه من الذبح،

ليصير بعدها كليمَ الله عز وجل!

فالحكمُ على الأشياء من ظاهرها

هو ضربٌ من ضروبِ الجهل لا ريب!

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾

دُنيا يُشترى فيها يوسُف عليه السلام ببضعِ دراهم،

ويُلقى فيها خليل الله إبراهيم عليه السلام في نار ملتهبة،

ويُنشر فيها نبي الله زكريا عليه السلام،

ويُقدم فيها رأس يحيى عليه السلام مهرًا لبغي،

وتُتهم فيها مريم العذراء عليها السلام بالفاحشة،

ويُرجم فيها رسول الله عليه الصلاة والسلام بالحجارة حتى تُدمى قدماه،

هي دُنيا لا تستحق الحزنَ على ما فاتك منها يا صاحبي،

فلو كانت لتطيبَ لأحدٍ لكان أولى

أن تطيبَ لأنبياء اللهِ ورسُله!

﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾

أما القريبُ فقال "اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا"،

وأما البعيدُ فقال "أكرمي مثواه"!

لا تعجب يومًا يا صاحبي من مفاجآت القدر،

فالضربةُ أوجع ما تكون عندما تأتيك

مِمن حسبتهم الملجأ وقتَ الفزع،

والمأمنَ وقت الهلع!

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾

ما قدَّرهُ ربكَ يا صاحبي سائرٌ لأن يكون لا محالة،

وإن أجمعَ الجن والإنس على أن يحرموك منه،

ما استطاعوا لذلكَ سبيلا!

وما لم يقدره ربك لك ليس ببالغكَ،

وإن اتفق الإنس والجن على أن يصنعوا لك إليه سبيلًا،

ما وجدوا لذلك حيلةً!

فلا تجعل القلقَ على أقدارك عنوانا لحياتك،

وربكَ غالبٌ على أمره!

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾

ليس شرطًا أن تُؤتى كل الخير في صغرك،

من الأمورِ ما لا تقدر عليه إلا بعد

أن يشتدَّ عودكَ وتبلغ أشدك،

فيأتيك ربك بذاكَ الخير الذي

إن أوتيته قبل ضاعَ منك،

إن لم يكُنْ سببًا في هلاكِك!

﴿وَرَاوَدَتْهُ﴾

ستراودكَ الدنيا يا صاحبي،

بمغرياتها وملذاتها وطيِّباتها...شيئا فشيئا،

حتى تقربكَ من مستنقعات المعاصي

التي إن خُضت فيها لا تدري هل

يُكتب لك الخروج منها،

أم تصير مِمن يَختمون دنياهم على ما لا يرضي ربهم!

فكُنْ من جُملة من يردّونها ب "معاذ الله"!

﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾

ليس شرطًا أن تذهبَ بنفسك

إلى المعصيةِ حتى ترتكبها يا صاحبي!

بل قد تأتيكَ على شكل ابتلاءٍ يطرق بابك

وأنت في أوج حالاتِ الضعف والعجز،

فمن يخاف ربهُ سيجد من ثقب

الباب منفذا ليسلمَ بدينه،

ومن لا خشية في قلبه سيجد

من نفسِ الثقب مولجًا!

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾

من سكنت خشيةُ ربه قلبه،
وتَشرَّبتها روحُه لا يمكن أن يُقبل على حُرمةٍ من حُرماتِ دينه،
وإن مُهدت لذلكَ له كل السُّبل!
وإن فُتحت الأبواب في وجهه على مصارعها!
وإن عبَّدوا له طريقَ المعصيةِ وفرشوه بالورود!
فالذي يخشى ربهُ حقَّ خشيته منه،
ينظر حُكمه في كلِّ ما هو مُقبلٌ عليه،
سواء أكانَ أمرًا من أمورِ دنياه أو من أمور آخرته!

﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾

وكم هو جميلٌ أن تكون مِمن

يعترف بجميلِ الآخرين عليك،

أكرمَ مثواه فقابله بأن صانَ عرضه وشرفه!

فمن لا يشكر الناسَ لا يشكر ربَّ الناس!

﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾

فِي كل صغيرةٍ أو كبيرة تُقبل عليها يا صاحبي،

وتتوكل على ربكَ فيها خير التوكل عليه،

سترى منه براهينًا قد لا تدركها إلا أنت،

لأنها فِي الأصلِ موجهة إليكَ لا لأحد غيرك،

فأمعِن النظر فِي كل نازلةٍ تنزل بك،

لأنك سترى معها من الآيات ما هو

خلاصٌ من الضيقِ إلى الرخاء!

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾

في بعضِ الأحيان،

لا يجبُ عليك الاكتفاء ب "معاذ الله" فقط يا صاحبي،

بل لابد لك من تحري أقربِ باب

تفرُّ منه سالما بدينك،

قبلَ أن تُغويك المعاصي بزينتها!

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾

جاهِد نفسك يا صاحبي،

وإن اشتدَّ البلاء وتعاظم حتى تظُنَّ أنك هالك به لا محالة،

فيوسُف أُلقي في البئر،

واتُّهم بالفاحشة،

وأُزجي في السجنِ فلبث فيه السّنوات العجاف،

ليخرج بعدها بريئًا، عزيزًا ووزيرًا على ملك مصر،

وردِّد دائمًا:

"ما هي إلا دُنيا وتمضي"،

فلا تخسر الدارَ الباقية لتُعمِّر الفانية!

﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾

غالبًا ما يكون الطرف الظالمُ سباقا إلى الشكوى،

وكما قيل قديما: "ضربني وبكى ثم سبقني وشكا"،

فالخائنون أبلغ ما يكونون عندما يتحدثونَ عن الأمانة،

والكاذبون أصدق ما يكونون عندما يخطبون عن الصدق،

والفاسدون أصلح ما يكونون عندما يتكلمون عن الإصلاح،

فالاستماع لطرف واحد دون الآخر،

ضربٌ من ضروب الجهلِ والظلم دون شك!

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾

إذا كنت من أصحابِ "معاذ الله" يا صاحبي،

كُنْ على يقينٍ بأن ربك سيجعل

لك في كل ضائقة تنزلُ بك شاهدا يشهد

لك بصلاحك وبراءتك!

فيوسُف عليه السلام سخر له ربه شاهدا من أهل زوجةِ عزيز مصر،

ليشهد له ببراءته من الفاحشة،

والعذراء مريم لما رماها قومها بالفاحشةِ أنطق الله عز وجل عيسى عليه السلام،

وهو صبي في مهده ليشهد بطُهرها وعفافها،

فالتمِس قربك من ربك وبعدك عن المعاصي ب:

"معاذ الله"!

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾

راودتهُ في بيتها بين أربعة جدران،

ظنا منها أن ذنبها سيُدفن عند باب بيتها،

فصارت غدا حديثَ نسوة المدينة،

من أشدِّ النِّعم التي ينبغي للمرء شكر

ربه عليها هي نِعمة الستر يا صاحبي،

تعصيه فيسترك علَّك ترجع وتتوب،

فلو كشفَ عنا حجاب الستر ذاك،

لصار المرء يستحي أن يحيا بين أقرانه!

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾

وكم هي عجيبةٌ سرعة تناقل الأخبار الفاسدة!
من الناس من مهمته المشي بين العباد وهم
يتناقلونَ شر الأقاويل ليزرعوا به الحقد والغل
والضغينة في أنفس الآخرين على بعضهم البعض!
فكُنْ غرباًلًا يا صاحبي لا تمرر لأقرانك إلا ما يسُرهم،
لا ما يكدرُ صفو عيشهم!

﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾

ليس من الضرورةِ أن تُقابل الإساءة بمثلها!
فليس كل من مكرَ بك لا بد لك أن تمكر به،
ولا كل من سبَّك وجبَ عليك سبُّه،
ولا كل من اعتدى عليكَ صار لزامًا عليك
أن تعتدي عليه بمثل ما اعتدى عليك!
من الأمور ما لا ينبغي لك فعلا التنازل عليها،
لكن في بعض الأحيان،
لا تقومُ للناس قائمة إلا إذا تصالحوا فيما بينهم،
وعفوا عن بعضهم البعض!

﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾

في بعض الأحيان،

حتى صفاتكَ الحسنة،

وأخلاقكَ الطيبة،

وحُسن عشرتك للناس،

لا تشفع لك عندهم حتى تتقي شرهم،

وبأسهم وضراءهم،

من الناس من لا عهدَ له يصونه حتى مع ربه،

فكيف مع غيره من الناس!

بل حتى أنبياء الله ورسله لم يسلموا

من مكائدِ البشر وخبثهم فكيف بمن دونهم!

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾

أن تسوغ لنفسك استباحةَ المحرمات،

وارتكاب المعاصي بذريعة من الذرائع،

هو أشدُّ الجحود والطغيان في حق ربك!

أن تذنب فتتبع ذنبك توبة لتمحوه،

هو مِما يُحمد عليه المرء،

فمَن مِن الناس لا يقترف الذنوب والمعاصي،

لكن أن تعصي ربك ثم تتبع معصيتك

طغيانا وجحودا هو الأمرُ الجلل الذي لا تُحمد عاقبته!

﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ﴾

وأنت تحيا على هاته الأرض يا صاحبي،
ستجد نفسكَ في مواضع تُخيَّر فيها بين
أن تقع في حرمة من حرمات دينك،
أو أن تحفظ عقيدتك وثوابتك مقابل شيء غالٍ تفقده!
قد يكون مالك أو شيئا من مُمتلكاتك،
أو ربما حتى حريتك!
لكن ضَعْ دائمًا في بالك أن ربك لا يبتلي
إلا من يريد به رفعةً وخيرا،
فإن كنت مُخيَّرا فاختر ما هو أصلحُ لآخرتك لا لدنياك،
وعزِّزْ نفسكَ بأن هذي الدنيا ما هي إلا أيامٌ وتمضي،
ويمضي ما بها من حزنٍ ومواجع وضائقات...

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾

لم يقُل أدخله السجن!

بل قال صرف عنه كيد النسوةِ ومكرهن،

في بعض الأحيان يا صاحبي،

قد ينزل بك من الأمور ما تراهُ ابتلاء،

لكنه في واقع الأمر منجاةٌ لك مِما هو أشدُّ وقعا وأكثر هلاكا،

فيوسُف عليه السلام ابتلي بالسجن لئلا يقعَ في الفاحشة،

وفي قصةِ موسى عليه السلام مع الخضر،

ثُقبت سفينة القوم حتى لا يستولي عليها الطغاة،

وابتُلي والدا الغلام بفقده حتى يُحفظ دينهما،

ورُمم الجدار صونا لرزقِ الغلامين في المدينة!

فلا تنظر للأمور من زاويةٍ واحدة فقط،

واعلم أن ربك لا يبتليك إلا لينجيك!

﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

قالها الفتيان ليوسُفَ عليه السلام في السجن!

حتى وأنت تمر بأسوأ ظروفك،

سيرى الناس معالمَ التقوى والإحسان

في تقاسيم وجهك ما دام قلبك متعلقا بالله!

في سلوكياتك وتصرفاتك وتعابيرك،

فكل قلبٍ تشبع بتقوى الله عز وجل،

ليس كغيره من القلوبِ مما لا شكَّ فيه!

﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾

لا تنس أن تذكر فضل ربك عليك يا صاحبي:

في سرائك وضرائك،

أتراحك وأفراحك،

ضيقك ورخائك،

عُسرك ويُسرك،

فتلك هي أرقى مظاهر العبودية لله جلَّ في علاه،

أن تشكر نِعمه في كل نفَسٍ من أنفاسك!

﴿ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾

أن ترى لطائفَ أقدار ربك عليك،

بعين الفضل هي نعمةٌ كبيرة يا صاحبي،

وكم من امرئ لا يعرف لشكر ربه سبيلًا،

مهما أُغدِق بالنِّعم والمكارم،

فمِن كمال مروءة المرء أن يرى فضلَ ربه عليه،

ويستشعر تلك النعم التي إن أراد لها إحصاءً ما وجد لها سبيلا!

﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

لا إله إلا الله جلَّ في عُلاه،

لا إله إلا الذي يُحيي الأرض بعد كسادها وفسادها،

لا إله إلا الذي يفيض الجداولَ مياها بعد قحطها وجفافها،

لا إله إلا الذي ينزلُ بالغيثِ ليسقي البلاد والعباد،

لا إله إلا الذي ينبت الحبَّ والزرع ليحيا به من حي من الناس،

لا إله إلا الذي لا يردُّ عبدا رفع أكف الضراعة إليه،

لا إله إلا الذي يسوقُ لعباده الرحمات من بعد ما قنطوا،

لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

﴿إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾

يا صاحبي،

ليس كل معصيةٍ غلفت بزينةٍ

وسُميت بمسمى غير أصلها صارت مباحة!

فالرِّبا يسمونها فائدة،

والخمر شرابٌ روحي،

والزنا علاقةٌ رضائية بين الذكر والأنثى،

والطوافُ بالقبور عاداتٌ وتقاليد،

والعُري تمدن وتحضر وانفتاح...

لكن الحرام يبقى حرامًا وإن أجمع كل الخلق على جوازِ ارتكابه!

﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ﴾

وكم أنسى امرئ في ورده اليومي من القرآن،
وكم أنسى آخر في رواتبه ونوافلهِ،
إن لم يدفعه للتكاسل عن فرائضه وتركها أصلًا،
فهو الذي أقسم بعزة ربنا وجلاله على
أن يُغوي ما استطاع من ذرية آدم ويجرهُم
إلى طريق الهلاك والمعاصي،
فلا تكُنْ من زُمرة الغاوين يا صاحبي،
وكُنْ مِمن يدحرون كيدَ الشيطان بمعيّةِ ربهم!

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾

من كمالِ مروءة المرء ألا يتكلم فيما لا يُحسنه،

ألا يُفتي عن جهلٍ واغترار بالنفس،

ألا يُحدث الناس ويناصحهم بما لا يدركه فهمًا،

فليس كل من صاحبَ عالما من العلماء أو جالسه،

صار عالما مخولا له أن يُفتي الناس في شؤون دينهم!

وكما يقال:

"رحم الله امرئ عرف قدر نفسه".

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ﴾

الذي انتصرَ على الفاحشة ب "معاذ الله"،

انتصرَ على دنياه ب "ارجع إلى ربك"،

لا تجعل الدنيا أكبر همكَ يا صاحبي،

حتى لا تجد نفسك يوما تحيا بها دون كرامةٍ أو شرف!

فيوسُف عليه السلام فضل السجن على أن يقع في الفاحشة!

وعندما دُعي إلى بيت العزيز أبى إلا أن يخرج عزيزا كريما،

بعد أن تثبت براءته!

﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾

صاحت بها زليخة بعد أن كُشف أمرها،

واستيقنَ الناس أنها من راودت يوسف عن نفسه،

بعد أن قضى سنينا عجافا خلف قضبان الزنازن!

كُنْ على يقينٍ يا صاحبي،

أنه مهما طالت عتمة الظلم،

لابد لها أن تنقشع في يومٍ من الأيام،

ليتسلل شعاع العدل مُضيئا زوايا المكان!

فيعيد الأمور لنصابها ويعطي كل ذي حقٍّ حقه!

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾

من أنفسِ الناس معدنا من

يحفظون للآخرين عرضهم

وشرفهم وكرامتهم ولو في غيبتهم!

فلا يغتابون ولا يكذبون ولا يسرقون ولا يظلمون...

ليس عندما يتعلق الأمر بالقريبِ فقط،

بل مع كافة الناس،

قريبهم وبعيدهم،

عزيزهم ومن هُم دونهم معزة،

فخير الناس من هم خيارهُم للناس!

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾

تمكينٌ على الأرض بعد ابتلاء في جوفها،

يبتليك ربكَ ليرفعك،

ليُخرج أجمل وأطيب ما فيك،

ليعدك لمسؤوليةٍ ما كنت تقدر عليها

لو لم تمُر بذاك البلاء،

فاصبر على قضاءِ ربك ولا تتسخَّط عليه،

فالذي ابتلاكَ هو الذي سيرفع عنك ذاك البلاء يومًا!

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ﴾

تلك الرحمة يا صاحبي،

لابد لكل امرئ مؤمنٍ أن يجعلها نُصب عينيه،

تلك الرحمة التي إن جعلك ربك ممن تصيبهم،

فزت مفازةً ما ضرك الذي خسرته بعدها،

فاعمل بجدٍّ بغية أن تكون مِمن تشملهم

تلك الرحمة التي لا رحمةَ بعدها!

﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾

التغافل خلُق الفُطناء يا صاحبي،

ويقال إن أعرابيا سُئِل عن أذكى الناس فردَّ قائلا:

"الفطِن المتغابي"،

ذاك الذي تظنه لا يلقي بالًا لما

يجري حوله وهو في واقع الحال،

يتغابى ويتغافل عن سفاسِف الأمور،

يتعففُ ويتعالى عن الدسائسِ والرذائل!

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾

حفظَ يوسُف في قاعِ البئر،
ويونسَ في جوفِ الحوت،
وموسى من كيدِ فرعون وحاشيته،
ونوحًا في قلبِ الطّوفان العظيم،
فهل يعجزُ أن يحفظكَ من مكاره قد تُصيبك!
فمن استحفظَ ربّهُ على شؤونه،
ما خابَ في دُنياه ولا في آخرته.

﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾

ليس عيبًا أن تقع في ذنب يا صاحبي،
فمن منا لا يذنب!
لكن العيبَ أن ترتكب معصيةً ثم
تصرّ عليها وتدافع عن فعلتك،
وتكون مِمّن يرون جُرمهم فعلًا سمحًا
لا يردعهم عن اقترافِ مفاسد أخرى،
أن تُذنب فتُتبع ذنبك توبةً،
هو مما يُحمد عليه المرء،
لكن أن تقع في معصيةٍ ثم تصر عليها،
هو مِمّا يُذم عليه المرء في الدنيا قبل الآخرة!

﴿حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾

ليس كل من عاهدكَ وفى يا صاحبي،

ولا كل من حدّثك صَدق،

ولا كل من اؤتُمنَ أدى،

ولا كل من ناصحكَ أراد لك الخير،

فالناس معادنٌ تتباين نفاستها

كما يتباين الترابُ من بعضه،

منهم الصّالح ومنهم الطّالح أيضا!

﴿وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾

العينُ حقٌّ يا صاحبي،

قد تصيبُ الصغير والكبير،

الذكر والأنثى،

الصالح والطالح...

فلا تُبدِ محاسنكَ للعيان،

فمِن الناس من لا يجري ذكرُ ربهِ على لسانه،

فكيف له أن يقي غيره شرَّ حسَده،

فليس كل ما بك من نِعمٍ وجبَ أن تُبديها!

من الأمورِ ما خيرٌ لها أن تُقضى سرا لا علنًا!

﴿فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾

لا تجعل البؤسَ عنوانا لحياتك يا صاحبي،

ألسنة الناس وأذاهم لم يسلم منها

حتى الأنبياءُ فكيف بمن دونهم،

فموسى عليه السلام كادَ به قومه فأرادوا قتله،

ويوسُف عليه السلام كادَ به إخوته فألقوه في غيابة الجُبِّ،

وزكريا عليه السلام نشرهُ قومه بمنشار،

ويحيى عليه السلام قدموا رأسه مهرًا لبغي،

والعفيفةُ مريم عليها السلام اتهموها بالفاحشة،

ورسولنا عليه الصلاة والسلام رُجم من أهل الطائف،

وشُج وجهه الشريف يوم أحُدٍ وكُسرت رباعيته،

وقيل عنه شاعر وساحر وكذاب...

لكن لم يتركوا للبؤس مَرتعًا في أفئدتهم،

لأنهم أدرى الناس بأن الضيق مهما اشتدَّ،

فله ربٌّ يأمره فينفرج!

﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾

من العقوق ما هو بِرٌّ يا صاحبي،

واعلم أن ربك ما حرمك إلا ليعطيك،

وما منعك إلا ليحفظك،

وما ابتلاك إلا ليرفعك ويطهرك!

فالسفينةُ خُرِقت حتى لا يستولي عليها الطغاة،

والغلام استُبيحَ دمه حِفظًا لدين والديه،

والجدار رُمِّم صونا لرزق الغلامين،

قد تعجبُ لما يجري حولك ظاهرًا،

لكن لو اطلعت على رحمة ربك التي تدير لك شؤونكَ باطنا،

لزال عنكَ كل ذاك العجَب!

﴿قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾

تلفيقُ الجرائم من خِصال المفسدين لا المصلحين،
من يدعي الأمانة غالبًا ما يخطب في الناس عن الخيانة،
ومن يدعي الصدق غالبًا ما يحدث الناس عن الكذب،
ومن يدعي الصلاح غالبًا ما يكلم الناس عن الفساد،
عبد الله بن سلول كان من أشدِّ الناس حرصًا على
الصفِّ الأول خلف رسولِ الله عليه الصلاة والسلام،
وهو رأسُ المنافقين في زمانه!
بل ونزلتْ فيه أشد آياتِ النفاق!
زِنْ كلامَ الناس في ميزان الحياد،
ولا تظننَّ أن كل من يُحدِّثُ غيره عن الطُّهر فهو طاهر،
بل قد يكون مُفسِدًا يتقمّصُ لباس التقوى لا غير!

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا﴾

من الأمور ما لا يباح به يا صاحبي،

وإن كان لقريبٍ أو صديق!

فبعض الأسرار لا يُرفع عنها الحجاب

إلا بين يدي ربك!

حين تضيق عليك الأرض بما رحبت،

فلا تجد منفرجا لضائقاتك إلا عنده،

تناجيه وتشكو إليه همومًا صدعت

فؤادك وتركته هشيما لا مُلملِم له

إلا هو جلَّ في عُلاه!

﴿قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾

ذاك الذي كان بالأمس صبيًّا يتآمرونَ عليه،

صار اليوم عزيزًا يبتغون عنده شيئًا من الرزق!

هي الدنيا يا صاحبي،

أيامٌ دول،

ترفع الذليلَ وتُذلُّ العزيز بإذن ربها،

فلا ترفع أنفكَ يومًا للسماء كبرا وخيلاء،

فالذي رفعك قادر على أن ينزلك من حيثُ رفعك!

﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾

أشد الناس ابتلاءً هم الأنبياء يا صاحبي،

وأشدهم صبرا عليه هم الأنبياء كذلك،

فأيوب عليه السلام ابتلي بالمرض المزمن،

وفقد الولد،

وقلة الحيلة،

فتصبَّر على ذلك حتى أتاه الفرج من لدُن ربه،

ويعقوب عليه السلام ابتلي بفقد البصر،

لحزنه الشديدِ على فقدِ ولديه،

فأطلق لسانه قائلًا:

"فصبر جميل"،

فجاءه الفرج من حيث لم يحتسب،

والأهم من ذلك كله أنهم لم يتسخَّطوا يوما على أقدار ربهم يا صاحبي،

لم يتسخَّطوا!

بل كانوا من جُملة الصابرين!

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾

من يُحبك يا صاحبي سيذكرك ولو بعد طولِ غياب،
من يُعزك لن تنطفئ نيران الشوق في صدره
مهما بعدتِ المسافات،
سيسمع صوتك في كل همسةٍ من الهمسات،
وسيشُمُّ ريحك عند كل نسمةٍ من النسمات،
وسيرى بسمتك على كل مُحيا من المَحايي،
من يُقدرك سينتظر عودتك وإن غادرَ الجميع!

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾

قالها يعقوبُ عليه السّلام بعد

نبأ فقد ولديه بنيامين ويوسُف عليه السلام،

نطق بها وقد ابيضَّت عيناه من حزنِ الفقد

الذي فطر فؤاده فلم يجد من يشكو ويبثُّ

إليه همَّه وأحزانه غير ربه جلّ في عُلاه،

فما لبث إلا قليلًا بُعيْد ذلك حتى

رُدَّ إليه بصره وعاد إليه يوسُف وأخوه

ودخل مصر عزيزا آمنا!

فإن كنت شاكيًا همَّك يا صاحبي،

فلا تشكُ إلا للذي أبوابُ خيراته لا توصد،

وخزائنُ كرمهِ لا تنفد!

﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ﴾

وكيف ييأس عاقل من روح ربٍّ

جعل النار بردا وسلاما على إبراهيم عليه السلام،

وجعل جوفَ الحوت مأمنا من الغرق ليونس عليه السلام،

وجعل البئر سبيلًا إلى بيت العزيز ليوسُف عليه السلام،

كيف للمرء أن ييأس وله ربٌّ يأمر العسير فيتيسر!

ويأتي بالرخاء من خِضم الضيق!

وبالفرج من رحم الابتلاء!

وبالفرح من شديد الترح!

﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾

وكم من صدقةٍ لم يحسب لها صاحبها

حسابا دفعت عنه شرا كثيرا،

فلا تتردد يا صاحبي في أن تمد يدك إلى جيبك،

لتعين مُحتاجا وتسد رمق جائع،

أو تقضي عن الناس حاجاتٍ أثقلت كواهلهم!

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

أحسِن إلى الناس يُحسن ربك إليك يا صاحبي،

إذا عملت عملا فاحتسبه لوجه ربك لا لوجه العبد!

فربك هو الذي يسخر لك العباد رغم أنوفهم،

فما كتبه لك آتيك لا محالة،

وما منعه عنكَ لست ببالغه ولو ركضت

وراءه ركض الوحوشِ في البرية!

فأحسِنْ يُحسن اللهُ إليك ولو بعد حين!

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾

بعد أن كادوا به كيدا وألقوه

في غياهب الجُبِّ ليواجه مصيرا مجهولا،

عفا عنهم وصفح عمّا ارتكبوه في حقه،

لا لضعف وقلة حيلة بل لإيمان

وقر قلبه جعله يؤمن أنه مهما تكالبت

عليه العدى فله ربٌّ يدعوه؛

فينصره على كيد أعدائه طال الزمن أم قصر!

﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾

من تحبُّه يا صاحبي،

تدركه بريحهِ إن غاب بصرك،

تميز بحةَ صوته من بين ألوف الناس،

من تحبه لا تخفى عليك تفاصيله،

بسمته، ضحكته، مُحياه، تعابيره...

من تحبه تشاطره حيزا من قلبكَ ليسكن فيه،

فالقلب سكنُ كل من نحبُّ ونُعِز!

﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾

إذا كنتَ صاحب بشارةٍ لأهلها يا صاحبي،

فلا تتوانى في إدخال البهجة والسرور

على أصحابها وجعل ما بهم

من حزن وترحٍ يصير بهجة وفرحا!

فخيار الناس من يصنع البسمةَ على وجه حزين،

ويُكفكِف الدموع من على خدّ مكلوم،

ويجبرُ خاطر مكسور،

ويُلملم شتاتَ طريح،

ويُداوي جراح مريض...

فلا تتردد في أن تكون منهم!

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

في عزِّ الفقد والابتلاء كان يعقوبُ عليه السلام

ما يزال يؤمن بأن ربه سيأتيه

بالنور من وسطِ الظلام الدامس،

وبالفرجِ من رحم المعاناة،

وبالرخاء من لُبِّ الضيق،

وسيسوق له ابنيه بعد طولِ غياب،

فتفاءل بربك خيرًا يا صاحبي،

فذاك من خُلق الأنبياء!

﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾

ليس عيبًا أن تعترف بخطئك يا صاحبي،

فمن منا لا يخطئ!

لكن العيب كل العيب،

أن تخطئ ثم تصر على

خطئك بدوغمائيةٍ منقطعة النظير،

فخير الخطّائين هم التوابون عن أخطائهم.

﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾

ذاك الذي أُلقيَ في البئر بالأمس

صار مؤمِّنًا لإخوته وأبيه اليوم!

فلا تعجب من عجائبِ صُنع ربك،

هي الدنيا بين أصبعين من أصابعه يُقلبها كيف يشاء،

يُصيِّر العزيزَ ذليلًا،

والذليلَ عزيزًا،

بين طرفة عينٍ وانتباهتها!

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾

أن ترى لطائف أقدار ربك عليك
بعين الفضلِ هي نعمةٌ كبيرةٌ يا صاحبي،
وكم من امرئ لا يعرف لشكر ربه سبيلا
مهما أُغدق بالنعمِ والمكارم،
فمن كمال مروءة المرء أن يرى
فضل ربه عليه ويستشعر تلك النعمَ
التي إن أراد لها إحصاء ما وجد لذلكَ سبيلا،
فمن الخير أن تُحسن شكر فضل ربك عليك!

﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾

وكم من آيةٍ تمر علينا فلا نتوقف عندها
لنتدبرها ونتأملَ بديع صُنع الخالق فيها!
فلو تدبرنا في هذا الكون وآياته،
لتشبَّعتِ القلوب بالإيمان الذي يجعل
صاحبه ثابتا لا يتزحزحُ عن سبيلِ الحق!

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾

وفي السّابقين عبر وحكم يا صاحبي،
لا لتُقصَّ وتُحكى فقط بل لتسري بين
الناس وتُتخذ عظاتٍ يتعِظون بها عن
منكرات الأمور ومفاسدِها،
فذاك فرعون ادَّعى الألوهية فكان من المُغرقين!
وذاك قارون لا يُدرى من الخلق من كان
أغنى منه فطغى وتجبّر؛
فخسف الله به وبداره وبمُلكهِ الأرض،
وأولئك قوم عاد كانوا ينحتون الصخور
ويتخذون الجبال مساكنَ لهم فعتوا عن أمر ربهم؛
فأُهلِكوا بريحٍ عاصفٍ شديدة البرودة!
فلم تكن العبرة يوما بالجاه أو المال أو السلطة،
وإنما العبرةُ بالتقوى!

﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾

قد تضيق بك الدنيا يا صاحبي،

حتى تظنَّ أنه لا انفراج لها،

وقد تشتد عليك ظروفك حتى

تعتقد أنه لا اتساع لها،

لكن سُرعان ما يأتيك ذاك الفرج من لدُن ربك،

ليُشفي جراحك،

ويُداوي عِللك،

ويَجبر خاطرك،

ويُلملم شتاتك،

ويُعافي فؤادك الطريح،

فلا تقنط من رحمةِ ربك،

فالنصر آتيكَ ولو بعد حين!

﴿عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

ما جُعِل العقل لصاحبه إلا ليعتبر به،

فيتدبر في عجيبِ صُنع هذا الكون،

ويتأمل آيات الخالق في خلقه،

فإن زاده ذلك يقينًا بشيء،

فلن يزيده إلا إيمانا بأن لهذا الكونِ العظيم خِلقةً،

خالقًا أعظم!

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

تلك الهُدى وتلك الرحمة لن تنالها يا صاحبي،

إلا إذا تجذّرَ الإيمان القويمُ في صدرك،

تلك الرحمة هي مُنى كل امرئ مؤمنٍ أدرك

أن هذي الحياة دارُ نصبٍ ووصب،

دار فناء لا دارُ بقاء،

وأن الآخرة هي الدّار التي ينبغي له أن يعملَ

من أجلها ويبنيها بطيبٍ حتى تطيبَ له!

خاتمة

في ختامِ هاته الرحلة الشّيقةِ

بين آياتِ سورة يوسُف الماتعة،

ندعو الله عزَّ وجل أن نكون قد وُفِّقنا

في الإفادة والاستفادة،

سائلينَ إيّاه السّداد والتوفيق.

جميعُ الحقوقِ محفوظة

978-9920-8619-2-2



د. عمر الطرمة

طبيب أسنان

مؤلف كتاب: "آياتٌ تهدي قلبك"

كاتب ومدون مغربي

بين مكرِ الإخوة وعتمة الجُبِّ السَّحيق.
وبين كيدِ النسوة وغياهبِ السجن.
انتصر قضاء الله عزَّ وجل على كل تلك المكائد!
لتصير قصة يوسُف عليه السلام
عبرةً لمن يعتبر من أولي الألباب!